

## الميليشيات: ورطة العرب التي صنعوها بأنفسهم

الحبيب الأسود  
كاتب تونسي



كما كان لبعض العرب دور مهم في تدمير العراق وخاصة بعد غزو 2003، وظهر من بينهم من قدم دعمه للميليشيات، التي سعت لملء الفراغ بعد تنفيذ مطلب بعض الأنظمة العربية بحل المؤسسات الأمنية والعسكرية واجتثاث البعث، اعتقاداً بأن ذلك سيساهم في القضاء على العقيدة الفكرية والسياسية للنظام السابق، لكن ما حدث لاحقاً أن العراق تحول إلى مسرح لميليشيات إرهابية وإنجازاً في أغلبها مرتبط باجندات إيرانية معادية للعرب والعروبة، وضارب عرض الحائط بمفهوم الدولة ووحدة المجتمع ومطالب الشعب.

جذب العرب التعامل مع الميليشيات في العراق وسوريا واليمن وليبيا ولبنان، ليكتشفوا لاحقاً أن تلك الجماعات المسلحة إذا دخلت قرية أفستتها، وإذا تحركت في بلد مدرته، وإذا تبنت عقيدة أهليتها، فهي لا تخضع للقانون وليست لها مرجعية سلوك، ولا تعترف بالانضباط ولا بالمهنية، وفي حالات كثيرة تتنازل من بعضها، لتتحول الميليشيا الواحدة إلى ميليشيات متعددة، وقد تتصارع في ما بينها لتزيد من حجم الخراب الذي تضمن به البقاء، فهي لا تضمن استمراريته إلا في ظل ديمومة الأزمات.

سيكون على العرب دفع ثمن أكبر للميليشيات الخاطئة عندما اندفعت بعض الأنظمة لدعم ميليشيات منفصلة في صراعها مع هذا النظام أو ذاك. كل الوقائع أثبتت أن أي نظام ومهما كان الخلاف معه حاداً، فإن التفاهم معه يبقى أيسر من التعامل مع ميليشيات تحكمها نزوات امراء الحرب، وتغتر بثوبها في كل حين وفق المصالح التي تتحقق لها.

جذب العرب التعامل مع الميليشيات في العراق وسوريا واليمن وليبيا ولبنان، ليكتشفوا لاحقاً أن تلك الجماعات المسلحة إذا دخلت قرية أفستتها، وإذا تحركت في بلد مدرته، وإذا تبنت عقيدة أهليتها، فهي لا تخضع للقانون وليست لها مرجعية سلوك، ولا تعترف بالانضباط ولا بالمهنية، وفي حالات كثيرة تتنازل من بعضها، لتتحول الميليشيا الواحدة إلى ميليشيات متعددة، وقد تتصارع في ما بينها لتزيد من حجم الخراب الذي تضمن به البقاء، فهي لا تضمن استمراريته إلا في ظل ديمومة الأزمات.

صنع العرب الميليشيات في سياقات عدة وتورطوا فيها، وليس لهم اليوم إلا أن يتحملوا المسؤولية كاملة بدعم القوى الوطنية الفعلية على مواجهة تلك الجماعات المسلحة الخارجة عن القانون والمنتجة للإرهاب والمتآمرة على الأمن والاستقرار في المنطقة

قد يكون العرب أدركوا ذلك خلال الحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت تحت غطاء طائفي في العام 1975، ولا تزال آثارها تشكل المشهد السياسي إلى اليوم، بعد أن تحول عدد من أمراء الحرب إلى فاعلين سياسيين بارزين، وخلال حرب أفغانستان ضد الوجود السوفياتي التي انطلقت أواسط الثمانينات، ورفعت فيها الميليشيات الوية الجهاد باسم الإسلام ضد عدو تصفه بالملحد الشيوعي، واندخلت البلد في دوامة صراع لا يزال قائماً، وحدث الأمر ذاته في الصومال في منتصف الثمانينات، عندما تورط بعض العرب في دعم التمرد ضد نظام محمد سياد بري بعد تفكيره، والذي ورغم سقوطه في العام 1991، إلا أن نتائج تلك الأحداث لا تزال تلقي بظلالها إلى اليوم. وليس خافياً أن هناك من العرب من مد يد الدعم لجماعة الحوثي في اليمن في إطار الصراع سواء مع نظام الرئيس الراحل علي عبدالله صالح أو مع المملكة العربية السعودية، ما جعل تلك الجماعة تتحول إلى ميليشيا مسلحة قادت عمليات تمرد ضد السلطات المركزية في صنعاء منذ العام 2004، واحتلت العاصمة في سبتمبر 2014، ولا تزال إلى اليوم تواصل تمرداتها على الشرعية والقانون.



## حزب الله وحربه الوجودية

المالية لدى الحزب ولبنان على وجه العموم.

بين الإنكفاء المالي والإرباك السياسي الناتج عن التعامل مع أزمة لبنان المعيشية والاقتصادية والتقديرة، يحاول "حزب الله" الموازنة بين منع الانهيار الكامل للدولة للمحافظة على حيط العلاقة مع واشنطن من جهة، وبين المحافظة على بنيتها الأمنية والعسكرية وتجدد دورها من جهة ثانية، فقد صدر موقف لافت عن النائب في البرلمان اللبناني عن الحزب، حسن فضل الله، قبل أيام، انتقد فيه ما سماه التدخل الأميركي لفرض تعيين اسم محدد نائباً لحاكم مصرف لبنان، وبمعزل عن صحة الاتهام أو عدم صحته، فإن هذا الاتهام الذي يصدر للمرة الأولى من قبل الحزب، ينطوي على تصعيد لفظي ضد الدور الأميركي في لبنان، لكن من دون أن يستدعي صداماً، باعتبار أنه كان مسبقاً بالاستجابة لضغوط أميركية على لبنان أدت لإطلاق عامر الفخوري، وبمساعدة من نصرالله إلى الأميركيين بالاستعداد لإيجاد نفوذ الحزب بين طهران وواشنطن في لبنان.

علمنا أن النزاع الإيرانية في لبنان المتمثلة بالحزب انخرت خطوات على صعيد السيطرة على مؤسسات الدولة في عملية قضم مستمرة منذ سنوات، أدت إلى تعيين الموالين للنفوذ الإيراني في أكثر المواقع القيادية في الحكومة وفي الإدارة العامة وفي المواقع الأمنية وفي معظم المواقع العسكرية، والحديث عن التدخل الأميركي في بعض التعيينات من قبل "حزب الله"، يستلزم أيضاً تغطية على استحواد حزب الله مباشرة على مفاصل الدولة، وكان آخرها إنهاء نفوذ الحزبية السياسية إلى حد كبير داخل الإدارة، التي شكلت استقالة سعد الحريري من رئاسة الحكومة، فصلا نوعياً في هذه العملية التي أدار "حزب الله" عملية تنفيذها بخبث ودهاء.

تبقى مشكلة إضعاف الشرعية الدولية والأميركية على وجه التحديد لهذا النفوذ المتمدد لإيران عبر "حزب الله"، وهو ما لا يبدو متاحاً رغم الرسائل الإيجابية التي يوجهها الحزب مباشرة أو بالواسطة، تجاه واشنطن، لكن الموقف الأميركي حتى اليوم، يبدو حاسماً لجهة رفضه لهذا النفوذ وعدم الاعتراف به، والإصرار على مواجهته بمزيد من التشديد في العقوبات والحصار على "حزب الله" وإيران. ولكن التحدي الأكبر يبقى هو القدرة على "الصمود والتصدي" في حربه لن تنتهي على قاعدة "لا غالب ولا مغلوب"، في ظل التغييرات الجذرية التي فرضت نفسها على راعيته، كما على كل العالم الذي يتلمس تحولاتاً درامياً على وجه الأرض وكل ما عليها.

التحدي الأكبر أمام حزب الله هو القدرة على «الصمود والتصدي» في حربه الوجودية التي لن تنتهي على قاعدة «لا غالب ولا مغلوب»، في ظل التغييرات الجذرية التي فرضت نفسها على راعيته وعلى كل العالم

للحزب، حسن نصرالله، علنا في خطابه إثر الإفراج عن العميل عامر الفخوري قبل ثلاثة أسابيع، إذ أكد أن "لواشنطن نفوذ قديم في المؤسسات اللبنانية، وهذا النفوذ كان قائماً في زمن الوجود السوري، ولا يزال...". وهو في هذا الخطاب لم يدع إلى مواجهة هذا النفوذ، بل المبح إلى إمكانية أن تستعد تجربة التعاون التي كانت قائمة مع سوريا، لكن هذه المرة مع إيران في لبنان.

في ظل أزمة انتشار فايروس كورونا التي تشغل العالم ومنه لبنان، بدأ حزب الله في وضع أكثر حرجاً، ذلك أن فايروس كورونا جاء ليضيف أعباء جديدة يصعب مقاربتها عسكرياً وأمنياً، بل تتطلب منه مقاربة مختلفة، تعتمد على قدرة دويلته على مواجهة هذه الجائحة، لكنه رغم ذلك بدأ شديد التكتك حيال تداعيات هذه الجائحة، التي كان من أول المهتمين باستخدامها من إيران عبر سرب الطائرات الإيرانية التي قدمت إلى لبنان حاملة الآلاف من اللبنانيين، من بينهم أعداد لا يستهان بها من محاربيه ومن بعض الإيرانيين، وجرى ذلك في ظل تكتك مريب، فيما عمد إلى نقل المصابين بفايروس كورونا إلى أماكن سرية.

وفي حين أعلنت الحكومة السورية عزل منطقة السيدة زينب ومنطقة جرمانا قرب دمشق، بسبب تفشي الكورونا، نقل "حزب الله" أعداداً من المصابين إلى لبنان، من جنسيات لبنانية وإيرانية وعراقية، حيث تم وضعهم في مستشفيات ميدانية بعيداً عن أي إشراف رسمي، لاسيما من قبل وزارة الصحة التي يتولاهم الوزير حمد حسن الذي سماه حزب الله لهذه المسؤولية.

يأتي كل ذلك وسط عقوبات مالية ضاغطة على الحزب وعلى راعيته إيران، من قبل واشنطن. وفي ظل أزمة البيئة الحاضنة للحزب، حيث ساهم ذلك في المزيد من إثارة المخاوف لدى هذه البيئة، التي اعتادت منه أن يوفر لها أو لجزء منها موارد دعم مالي واقتصادي، تبدو غير متوفرة إن لم تكن مستحيلة في المدى القريب. بهذا المعنى فإن "حزب الله" الذي كان يستثمر في الأموال الإيرانية وحتى العربية لمواجهة الأزمات في بيئته الحاضنة كما جرى في أعقاب حرب تموز عام 2006، ما هو اليوم يواجه الامتزازات حتى داخل بنيته الحزبية، التي باتت عرضة لأزمات شتى اجتماعية واقتصادية، من أسبابها تراجع القدرة

علي الأمين  
كاتب لبناني

لا يعيش "حزب الله" أفضل أيامه، حيث يخوض حروباً سياسية وأمنية في الداخل وعسكرية و"تأديبية" في الخارج، يربح جولات ويخسر معارك، ولا يفوز بأي حرب منها. بيد أن "حروب الاستنزاف" التي يخوضها، "وجودية"، يتخبط فيها من أجل البقاء. شكلت عملية الانتقال من السيطرة الأمنية والعسكرية على السلطة، إلى السيطرة على نظام الدولة ومؤسساتها، التحدي الأبرز الذي يحاول "حزب الله" مواجهته مع وصول الرئيس ميشال عون إلى سدة الرئاسة في العام 2016، وكانت هذه المهمة التي يمكن وصفها بالسعي إلى التحكم بـ"الدولة العميقة" في لبنان، ليست من المهمات أو الوظائف التي اعتادها "حزب الله" منذ تأسيسه، أي الحرفة الأمنية والوظائف العسكرية التي طالما كانت سبيله إلى تحقيق السيطرة والنفوذ على المؤسسات والمجتمع، لكن من دون أن يعير الدولة اهتماماً، إلا بما يقتضيه الاهتمام بتربسح دويلته التي قامت على نقض الدولة، وتأسست على نموذج "المجتمع النقض" انطلاقاً من نظرة أيديولوجية تعتبر أن "حزب الله" ودويلته هما تاسيس واستكمال لدولة الإمام المهدي التي قامت في إيران، وأزهرت في لبنان وسواه من دول "حضبة" بنعم النفوذ الإيراني.

الانتقال إلى مرحلة استكمال السيطرة على مفاصل الدولة، هو ما يجعل "حزب الله" اليوم أمام أزمة حقيقية تتعلق بمآلات وجوده، فهو إزاء عجز عن الاستمرار في الاعتماد على القوة الأمنية والعسكرية وحدها من جهة، وعاجز عن الاندراج في نظام الدولة التي تفرض عليه بطبيعتها التخلي عن دويلته أو في الحد الأدنى التسليم بمرجعيتها في تنظيم شؤون المجتمع والحياة السياسية والاقتصادية وفي العلاقات بين الدول من جهة أخرى.

ساهم إنكفاء المشروع الإيراني أو اهترازه وتصدعه، في فرض هذا التحدي على "حزب الله"، بل أدى تصدع الدولة اللبنانية سياسياً واقتصادياً ومالياً، إلى إرباك الحزب الذي وجد نفسه بعد تطويع القوى السياسية أو معطلها، أمام معضلة جديدة تتمثل في كيفية التعامل مع الانهيارات التي تحيط به في الاقتصاد وفي النقد، وعلى مستوى خطر الانهيار الاجتماعي. كل ذلك لم يدفعه إلى إعادة النظر في أصل المشكلة المتمثلة في دوره المحلي والإقليمي، الذي دفع لبنان ثمنه عربياً ودولياً، بل استمر في عملية قضم المؤسسات الرسمية، وإنهاء الحياة السياسية لصالح ترسيخ سلطته المطلقة، ولكن بطموح عقد تسوية مع الأميركيين تعطي شرعية لدوره، في مقابل إقرار حزب الله بدور واشنطن في لبنان، وهذا ما قاله الأمين العام

